



المجلة العربية للعلوم الإنسانية والاجتماعية
Arab Journal for Humanities and Social Sciences
Impact factor isi 1.892

المجلة العربية للعلوم الإنسانية والاجتماعية

مجلة عربية محكمة وفقاً لتصنيف قاعدة البيانات

EBSCO

العدد الرابع والثلاثون / كانون الأول 2025



السجان / القطب الآخر من أدب السجون

"The Jailer: The Other Pole of Prison Literature"

إعداد:

غيد توفيق الذهبي

طالبة دكتوراه في جامعة القديس يوسف

كلية الآداب والعلوم الإنسانية/معهد الآداب الشرقية

مركز لويس بوزيه لدراسة الحضارات القديمة والوسيط

بيروت - لبنان



المجلة العربية للعلوم الإنسانية والاجتماعية
Arab Journal for Humanities and Social Sciences
الملخص

يمثل السجان في أدب السجون تلك الشخصية المعقدة التي تتجاوز كونها مجرد أداة قهر وقمع ميكانيكية، فهو عنصر أساسي وجوهري في التجربة السجنية، يقف على الجانب المقابل من السجين. وهو عنصر يستحق دراسة تحليلية عميقة، إلى جانب تلك القراءات النقدية والدراسات التي عنيت بالسجين، بوصفه البطل الأساسي والمحوري في الرواية.

وبالعودة إلى الروايات العربية السجنية، تظهر صورة السجان بأشكال متعددة، فهو يبدو تارةً ذلك الجلاد المتعطش للدم، يستخدم البطل لإثبات نفسه وتحقيق وجوده. وتارةً أخرى هو ذلك الموظف - الآلة - التي تؤدي الأوامر دون تفكير، ونادرًا جدًا ما نراه ذلك الشخص يعنى بالسجين ويهتم لحاله.

وعلى المستوى النفسي فمن الممكن أن نفهم شخصية السجان، فنجد تجارب ميلغرام الشهيرة، قد أكدت أنّ الأفراد يمثلون لأوامر قاسية وغير أخلاقية عندما تصدر عن سلطة عليا.

إذن لا يصحّ اختزال السجان في أدب السجون إذ أنّه يعتبر رمز مكف يكشف جوانب النظام، إضافة إلى كونه يرتبط بقيود مختلفة، تجعله يلتقي مع السجين في جوهر التجربة المأساوية الواحدة.

الكلمات المفتاح:

السجان - القمع - السجين - السلطة - الطاعة - العنف.

Abstract

In prison literature, the jailer represents a complex figure who transcends being merely a mechanical instrument of oppression and repression. He is a fundamental and essential element



المجلة العربية للعلوم الإنسانية والاجتماعية
Arab Journal for Humanities and Social Sciences

of the prison experience, standing in opposition to the prisoner. He is an element that deserves in-depth analytical study, alongside the critical readings and studies that have focused on the prisoner as the central and pivotal protagonist of the narrative.

Returning to Arabic prison novels, the image of the jailer appears in multiple forms. Sometimes he is portrayed as a bloodthirsty executioner who uses the protagonist to prove himself and assert his existence. At other times, he is depicted as a machine-like employee who executes orders without question, and it is very rare to see him show concern for the prisoner or his well-being.

On a psychological level, we can understand the jailer's character. Milgram's famous experiments confirmed that individuals comply with harsh and unethical orders when they come from a higher authority. Therefore, the jailer cannot be reduced to a mere figure in prison literature, as he is a powerful symbol revealing aspects of the system, and is also bound by various constraints that bring him and the prisoner together in the essence of a shared tragic experience.

Keywords: jailer – oppression – prisoner – authority – obedience – violence.



المجلة العربية للعلوم الإنسانية والاجتماعية
Arab Journal for Humanities and Social Sciences

المقدمة:

إنّ تناول شخصيّة السجّان في أدب السجون يفتح نافذة على جانب آخر، غير مُسلط عليه الضوء في الدراسات النقدية؛ حيث عادةً ما كانت القراءات تُركّز على شخصيّة السجين كبطل أساسيٍّ ومحوريٍّ في الروايات، بينما يُترك السجّان في الصورة الخلفية، تلك الشخصيّة الهامشيّة التي تظهر في أوقات التعذيب فقط، وتختزل في صورة الجلاد القاتل الصامت. لكن السجّان ليس مجرد أداة للقمع، بل هو يشكّل جزءاً جوهرياً من التجربة السجّانية، تتداخل في شخصيته جوانب نفسيّة واجتماعيّة وسياسيّة، الأمر الذي يحوِّله إلى "سجين من نوع آخر" داخل المنظومة القمعيّة التي تحكمه بقدر ما تحكم ضحيّتها. وفي هذا السياق، تتجلى أهميّة البحث في أنماط السجّان ودراسة سلوكيّاته، إلى جانب الكشف عن الأثر النفسي العميق الذي تُخلّفه تجربة السجين عليه شخصياً.

إنّ التركيز على السجّان ليس ترفاً تأويلياً بل ضرورة لفهم منظومة السجّان بكل تفاصيلها. فلا وجود للسجين دون سجّان، ولا يمكن فهم تجربة القهر بدون دراسة من يمارسها ومن يحمل أعباءها. العلاقة بين السجين والسجّان ليست مجرد مواجهة بين ضحية ومُعذّب، بل ديناميكيّة معقّدة تمزج بين السلطة والخوف، الكراهيّة والتعاشيش، الصمت والاعتراف. وبالتالي، فالغوص في نفسيّة وطبيعة السجّان يفتح نافذة جديدة لفهم السرد الروائيّ، حيث يزيح اللثام عن آلية القهر ذاتها وليس انعكاسها على الضحية وحدها. لطالما ركّز النقاد والباحثون على دور السجين بوصفه شخصيّة مركزية تنقل الألم وتناضل من خلال الأدب. لكنني ارتأيت الخروج عن هذا النهج المعتاد لاستكشاف البعد المهمل: السجّان.



المجلة العربية للعلوم الإنسانية والاجتماعية
Arab Journal for Humanities and Social Sciences

وتسليط الضوء على هذه الشخصية بشكل مكثف والطابع النمطي لها، وكيفية تصنيعه وتركيبه ليصبح عبداً يأتّم بأمر السلّطة التي تسيّره كيفما تشاء، ليصل في نهاية المطاف إلى الدرجة القصوى من الوحشية المرضية، فيتصرّف بشكل مغيب وكأنّه آلة لا يشعر ولا يقرر، هدفه الأوحّد إرضاء أسياده وإطاعة أوامرهم والبطش بيد شيطان. فالسّجن ليس مجرد رواية تُروى من طرف واحد؛ إنه تجربة مكتوبة من جهتين: السّجين الذي يوثق الألم والسّجان الذي يصنعه ويراه مباشرة. وإذا كانت الكتابة عن السّجين تحفظ العذاب كشهادة تاريخية، فإنّ الكتابة عن السّجان تفتح باباً لفهم بنية السلّطة وآلياتها الخفية وتسلّط الضوء على المناطق الرمادية التي غالباً ما يتغاضى عنها النقد الأدبي.

من هذا المنظور، ينطلق البحث كدعوة لقراءة أدب السجون بطريقة متجدّدة تُعيد الاعتبار لرؤية شاملة. الهدف لا يقتصر فقط على فهم مأساة السّجين، بل يمتدّ إلى استيعاب الكيفية التي يُمارس فيها السّجان سلطته وكيف يُصوّر أدبياً: هل يتم اختزاله في صورة جلاّد فاقد الإنسانية؟ أم يُظهر الهوية المعقّدة لشخص مأزوم يعاني بدوره قيوداً من شكل مختلف؟ بذلك، أمل أن يساهم هذا البحث في إثراء النقاش حول أدب السجون ويكشف عن أهمية النظر إلى النصوص الأدبية بعينين بدلاً من عين واحدة، مما يسمح باستيعاب الوجهين المتكاملين: السّجين والسّجان.

سيكولوجية السّجان تمثل إحدى القضايا المعقّدة التي تتداخل فيها جوانب علم النفس الاجتماعي والسياسي، حيث يرتبط سلوك الفرد ارتباطاً وثيقاً بنظام القهر والاستبداد الذي يعتمده النظام. وفي سجون النظام



المجلة العربية للعلوم الإنسانية والاجتماعية
Arab Journal for Humanities and Social Sciences

السوري تحت حكم الأسد، برزت هذه الظاهرة بشكل أكبر مع تصاعد التقارير حول الاستخدام المنهجيّ للتعذيب كوسيلة لإتمام السيطرة على المعتقلين وإذلالهم.

أولاً: السجّان، الشخصية المعادية:

عند تناول أدب السجّون في الرواية العربيّة، يتّضح أن معظم الدراسات النقدية ركّزت بشكل رئيسيّ على السجّين، مستعرضة معاناته، ذاكرته، أوجاعه الجسديّة، وندوب روحه. السجّين غالباً ما يُصوّر كرمز للحرية المكبوتة ومحور سرديّ تتشابك حوله جميع الخيوط الدراميّة والتحليليّة. وهذا النهج يبدو طبيعيّاً، لأنّ السجّين يمثّل جوهر القهر وضحية تُحاول السّلطة إسكات صوتها. لكنّ التركيز المكثّف على هذه الشخصية أدّى إلى تهميش شخصية السجّان، الشخصية التي تشكّل جزءاً أساسياً من تجربة السجّان.

إنّ السجّان في الرواية العربيّة السجّنيّة هي شخصيّة محوريّة في الرواية، تتخفى وراء هذه الشخصية اللإنسانيّة، أيادي السّلطة التي تمتدّ إلى جوف السجّين من خلال السجّان، فستخدمه لترويض السجّين وقولبته ليتحوّل إلى تلك الصّورة النمطيّة التي تريدها السّلطة. إذ عادةً ما يتمّ تصوير السجّان كظلّ للسّلطة أو كأداة تنفيذيّة مجردة من أي عمق إنسانيّ أو دور سرديّ واضح.

في هذا البحث، اخترت أن أتخذ زاوية رؤية مختلفة وأن أوجّه اهتمامي نحو شخصية السجّان، تلك الشخصية التي تبدو للوهلة الأولى هامشيّة أو وظيفيّة، لكنّها في الواقع تحتلّ دوراً محورياً في تجربة الاعتقال.



المجلة العربية للعلوم الإنسانية والاجتماعية
Arab Journal for Humanities and Social Sciences

إنّ مقارنة السجّان بصفته "سجيناً من نوع آخر" تفتح أفقاً معرفياً جديداً في أدب السجون، فالسجن تعدى فكرة المادّة/الجدران، التي تفصل بين الضحيّة/السجين عن العالم الخارجي، بل أصبح تلك الآلة التي تسحق السجّان وتجعله يعيش في عالم من المأساة والمعاناة، محاطاً بكمّ هائل من التعذيب والعنف الذي يتحوّل إلى اللّغة السائدة هناك. بناءً على ذلك فإنّ دراسة شخصيّة السجّان ليست ترفاً أدبياً نقدياً، بل إنّ ضرورة لفهم استراتيجيات وديناميت العنف والسّلطة.

ثانياً: شخصيّة السجّان:

إنّ شخصيّة السجّان على اختلاف مسمياتها أو بروزها في الروايات السجّنيّة (محقّق - مدير السجّن - العسكريّ - المساعد - الرقيب - الشرطة - طبيب السجّن...) أي كلّ من يقابل السجين في الطرف الآخر من المشهد. تتشابه جميعها بسلوكيات واحدة تأخذنا إلى بعد واقعيّ/روائيّ.

السجّان شخصيّة تمثّل أحد قطبي الصراع في الروايات السجّنيّة لم تتّصف فيه من وحشيّة غير مسبوقه، وما تبديه من تصرّفات مرضيّة ووحشيّة تحاول من خلالها سدّ النواقص وتفرغ العقد النفسيّة، والأمراض المكتسبة في المجتمع المحيط وما يعانيه من تقلّبات ومزاجيّة. وهذا ما يبدو واضحاً خلال فترة المواجهة الساخنة المباشرة مع الشخصيّة المقابلة - السجين وفق آلية موضوعة سابقاً. إذ أنّ قسوة السجّان مرتبطة بالمكان الذي يكون فيه، وبالأوامر التي يتلقاها. فالبطش والقسوة والاستبداد هي تصرّفات غير مرتبطة بفطرته. إنّما هي وليدة أنظمة وقرارات سلطويّة وتفاعل اجتماعيّ وضعه في حالة المواجهة مع السجين في فضاء غير متوازن القوى. هو هناك مجرد آلة مبرمجة، تخضع للضرورة المسيّرة وفق تصنيع سلطويّ، ذلك أنّ القسوة "في أصلها حالة



المجلة العربية للعلوم الإنسانية والاجتماعية
Arab Journal for Humanities and Social Sciences

اجتماعية أكثر من كونها سمة من سمات الشخصية. وبالتالي يتصرّف بعض الأشخاص بقسوة ووحشية إذا ما وضعوا في محيط ينزع فيها السلطة الضغوط الأخلاقية ويضفي شرعية على التجرد من الإنسانية". (باومان، 2014، صفحة 262).

تتميز هذه الشخصية بعدم التوازن والتناقض الإنساني الناتج أساساً عن شرح أيديولوجي نفسي داخلي، والذي تقاوم بفعل التفاعلات الاجتماعية في بيئة معادية تطغى عليها مظاهر البطش والاستبداد. يظهر ذلك بوضوح في الفضاء الروائي الذي يسلط الضوء على تأثير هذه البيئة في تشكيل العالم الداخلي للشخصية. يُظهر السجّان في هذا السياق بصورة تمتلك سلطة مطلقة من جهة، بينما يُضع الرئيس في موقع أقل منزلة من جهة أخرى. وهو يتمتع بصلاحيات واسعة تتيح له فرض الذلّ والخنوع على السجّناء، ممّا يدعم تماهي السلطة المقابلة ويخلق علاقة تناسبية بين الطرفين في شبكة التفاعلات الاجتماعية. فكلّما زاد خوف السجين وضعفه، ازداد تعطّش النفوس المريضة لتعميق السيطرة والتسلّط.

إنّ السلطة توجّه العناصر الجدد عن طريق إلقاءهم في تربة يتغذى على أفعال قتل الإنسان وتدمير القيم الإنسانية، ليتماهى مع محيطه وينخرط مع القطيع. لذلك كان التسلسل " التراتبي لمراحل تحوّل شخصية السجّان الروائية، يطرح نمط الترويض البشريّ الذي تتعرّض له على الرغم من ثبات الحدث عن طريق تكلفة السلوك لمصير النقيض والمثيل، فيتحدّث الروائيّ عن الاعدامات بدلالة تكثيرية، ثمّ يشير إلى وجود النمط المثلي لرفع قوة الجذب، ويترك بعدها المجال للبحث النفسيّ من التخبّطات الصراعية بين الإنسانية ودفع تكلفتها، فيختار النمط الجمعي المسلوخ عن ذاته وينضمّ إلى الركب المروّض". (باطوس و زاهر، 2012)



المجلة العربية للعلوم الإنسانية والاجتماعية
Arab Journal for Humanities and Social Sciences

فمثلاً في عودتنا إلى رواية "القوقعة" نرى أنّ الإدارة في بداية الأمر لا تطلب من العناصر الجدد القيام بأيّ عمل على صعيد التعذيب والاعدامات، بل يتركونهم مدّة من الزمن لينخرطوا في الجوّ السّجنيّ الجديد، يراقبون ما يجري دون تدخّل، يمسكون بكرياج أو عصا. وبعدها ومع مرور الوقت يبدأ هؤلاء الجدد بالانضمام إلى جوقة المعدّبين فيبدأون بضربات خفيفة مرتبكة، يغرقون في حالة من التوتر. وفي حضرة حفلات الإعدام، يقتربون من بعضهم أكثر، فتصفرّ الوجوه وترتجف الشفاه ويغضّ بعضهم نظره عن المشهد، ومنهم من يصاب بتقلّصات المعدة. هذه الأمر لا يستغرق طويلاً، فبعد عدّة حفلات إعدام أو تعذيب ينخرط السجّان الجديد مع البقيّة ويصبح ربما أكثر وحشيّة ممن سبقه، فهو هناك يسعى إلى إثارة إعجاب السّلطة وإظهار الخضوع.

يقول مصطفى خليفة، في رواية "القوقعة": "الرقيب "سامر الأعوج"، كنت أراقبه دائماً عند ما حضر أوّل حفلة إعدام تقيّاً بشدّة حتى خلت أنّه سيخرج أمعاءه، جلس على الأرض، وقد غطّى عينيه بيديه إلى نهاية الاعدامات. ساعده اثنان من زملائه على النهوض وقاده من تحت إبطيه إلى خارج الساحة.... آخر حفلة إعدام حضرها كان نشيطاً جدّاً، بيده عصا طولها أكثر من متر، يمازح زملاءه وعلى وجهه ابتسامة دائمة، عند الانتهاء من آخر وجبة إعدام وقف أمام أحد المشنوقين وأخذ يؤرّججه، وضع العصا على الأرض آخذاً وضعيّة الملاكم جاعلاً من الجنّة المعلّقة كيس رمل أخذ يوجّه بها الكلمات صاح على الوحوش:

- وحش ولا وحش تعا لهون..

- ركض الوحش لعنده



المجلة العربية للعلوم الإنسانية والاجتماعية
Arab Journal for Humanities and Social Sciences

- نعم سيدي

- شوف هالكلب صار له ربع ساعة معلق ولسا ما مات شدو من رجليه خليه يرتاح". (خليفة، القوقعة، يوميات متلصص، 2008، الصفحات 89-90)

لسجان ليس مجرد مراقب أو منفذ للأوامر، بل هو شريك قسري للسجين في فضاءه المغلق وشاهد على تفاصيل حياته. وبينما يدخل حياة السجين ككابوس مستمر، يتحول تدريجياً إلى مرآة تكشف عن طبيعة القمع وعن الصراع الداخلي الذي قد يعانیه هو نفسه بين الالتزام بالأوامر وإدراكه لإنسانيته إن وجدت.

ثالثاً: النموذج النمطي للسجان:

يتم تصنيع شخصية السجان النمطية المعروفة في الروايات السجنية وفق آلية محددة من قبل السلطة، تعنى بكل ما يخص الشخصية من ملامح وانفعالات نفسية وجسدية. ودورها الروائي الثابت والامتامي في الرواية الذي يتقلب بحسب الموقف. فبعد وضعه على خط الصراع في الحدث الروائي ذك بسبب ما يتمتع به من سلطة وصلاحيات يتم "إلقاء الشعور بالذنب من خلال إسباغ المشروعية على التعذيب وجعله عملاً اقتصاصياً يكتسب دلالة الواجب النبيل من خلال وضعه على رصيد الدفاع عن القضايا الكبرى السامية التي لا يجوز أن تهددها الضحية وأمثالها". (حجازي، 2005، صفحة 153).



المجلة العربية للعلوم الإنسانية والاجتماعية
Arab Journal for Humanities and Social Sciences

وإنّ "أقصى حالات النّمّاهي المتسلّط تأخذ شكل الاستلاب العقائديّ ونقصد بذلك تمثّل واعتناق قيم النظام والانضباط والامتثال وطاعة الرؤساء الكبار وهي قيم تخدم مصلحة ذلك المتسلّط لأنّها تعزّز مواقعه وتصون مكتسباته". (حجازي، التخلّف الاجتماعي، صفحة 136).

فلا قضية سامية أكثر من حماية الوطن وحماية السلطان من كلّ ما ومن يحاول المساس به بمشروعية التعذيب والتكيل التأديبيّ الذي قد ينتهي بالموت في الكثير من الأحيان. فهو مبرمج على الوقوف بوجه من يحاول تخريب البلاد ونشر الفوضى والإساءة للمواطنين. فيجد نفسه المسؤول على استتباب الأمن والتجرؤ على من كلّ من يعكّر ذلك.

وإذا ما أردنا الوقوف عند سيكولوجية السجّان، نجده يطلق العنان لساديته، ليكون هو الذات والسّجين الآخر من خلال فرض سيطرته على الآخر والحطّ من شأنه، من أجل إعلاء شأن الذات بواسطة العنف.

رابعاً: صورة السجّان - الجلّاد:

في كتاب "العسف" عن الثورة الجزائرية، عرض لتجارب أناس تعرّضوا للتعذيب، وفيه استنتاجات أناس تعرّضوا للتعذيب، وفيه استنتاجات: "تميّز بين صنفين من الجلّادين: هناك الذين قبلوا أن يجعلوا من هذه المهنة القذرة وسيلة للحصول على خبزهم اليوميّ، وهناك الذين يدافعون، بشعور منهم أو غير شعور، عن المواقف الاجتماعية والامتيازات التي تخصّهم بها سلطة مثل الأجهزة... وكما في كلّ مكان، الأوائل يعتصمون خلف أدوارهم كمنفّذين. والآخرون يجدون مسوّغات لأعمالهم في الترسانة الايديولوجية".



المجلة العربية للعلوم الإنسانية والاجتماعية
Arab Journal for Humanities and Social Sciences

إنَّ منفذَ التَّعذيب، بعد شحنه بفكر معيّن وعواطف وأحقاد خاصّة، يشعر أنّه يؤدّي خدمة خاصّة للسلطة التي يحترمها أو يخافها أو يهابها أو للأيديولوجيا التي يؤمن بها. وهذه السّلطة، هنا، هي الحكومة أو الشعب أو الحزب أو الطائفة أو الجماعة الإثنية. الخصم "الحرّ" يجب أن يصنّف على أنّه "لا إنساني"، وكما يقول ديفيد كوبر في "ديالكتيك التحرّر"، "وغير الإنساني يصبح إنسان... وبهذا يمكن تدميره تدميرًا تامًا من دون أيّ احتمال لشعور الذنب".

والجلّاد، إذًا، يرى في (الضحية-الخصم) أذى للبشر لأنّه عدوّ للبشر أو أنّه من غير البشر. "ولم تكن النظرة العرقية، في البدء، تجعل الجلّادين يحسّون بأنهم يؤذون بشرًا، بل هم يخلّصون البشريّة من أنصاف البشر الضّارين... وتزداد هذه النظرة إلى الخصم عمقًا واتساعًا، فلا يكتفي الجلّاد، والجلّاد هنا ليس فقط ذلك الذي يمارس التَّعذيب؛ بل هو الذي يقوده ويوجّهه، بأن يرى الخصم حيوانًا؛ بل يرى الطرف الآخر كلّهُ (القبيلة الأخرى كلّها، الحزب الآخر، الشعب الآخر، القومية الأخرى) حيوانات". (عدوان، 2016، صفحة 31)

إنَّ الجلّاد الذي يمارس التَّعذيب ليس هو في كثير من الأحوال من يطرح الأسئلة، إنّه يقوم بالتَّعذيب فقط، وعند وصول الضحية إلى الاستسلام يتم أخذ هذا الضحية إلى حيث تدلي باعترافاتها أمام المسؤول المعنيّ، الذي ربّما حضر حفلات التَّعذيب وربّما لم يحضرها.

والسؤال الذي يطرح هنا، كيف يقوم الجلّاد بعمله؟ ولماذا؟ وبماذا ينعكس عليه؟



المجلة العربية للعلوم الإنسانية والاجتماعية
Arab Journal for Humanities and Social Sciences

إنَّ السَّجَانَ بكلِّ مسمياته (الجلّاد - الحارس - الشرطة - المحقق - رئيس السَّجن وغيرهم) أي كلِّ من كان على الطرف المقابل للسجين. فالجلّاد يعتقد بأنّه من صنف البشر الأعلى، يمسك أناساً تحت رحمته، هو رجل قاس قويّ وكلّ إليه أمر ترويض أوقح البهائم وأقذرها وأشدّها وحشيّة، البهيمة الإنسانيّة - السَّجين. وهو عند اللزوم يدفع بالضمير المهني إلى درجة ارتكاب القتل. إذ أنّ وراءه صلابة تتجاوز صلابة رؤسائه أنفسهم. فهو فنراه يمارس أفظع أنواع التعذيب وكأنّها نوع من الطقوس الوثنيّة التي كانت تقدّمها العشيرة كقربان للآلهة.

يصف "محمد عادل فارس" عمّال السَّجن من خلال تعامله مع الكثير منهم، وتقلّبه عبر سجون مختلفة في سوريا، فيقول أنّ: "الصفة العامّة لمعظم ضباط المخابرات والمحققين الذين عرفتهم أنّهم قليلو الذكاء، ضعيفو الضمير، محدودو الثقافة، جفاة الطباع، منحردو الأخلاق، أمّا السَّجانون والجلّادون فيتسمون عادة بالغباء والمحدودية وبضعف الثقافة بل الأميّة أحياناً". (فارس، 2007، صفحة 23)

أمّا بالانتقال إلى أيمن العتوم في روايته "يسمعون حسيها" فيقول واصفاً الجلّاد - السَّجان، الذي أطلق عليه لقب الجلّاد الأكبر لما فيه من ضخامة، ولما فيه من ملامح شرّ وقتل، يسهب العتوم في نقل صورته إلينا، فيقول: " كانت هيئته توحى بأنّه من وحوش الكواكب الأخرى الأسطوريّة، طويل القامة، مليء الجسم، مغضّ الوجه، غليظ الكفّين، واسع الخطوة، ضربة من يده كفيّلة بأن تردي أحدنا في مكانه مغشياً عليه. أمّا صوته فأجشّ، لا أدري لطول ما سكر أم لطول ما حشّش، وأمّا رائحته فأحسست أنّها كريهة تشبه رائحة الجزرة، أو تجمعّ الزبالة في مكبّ النفايات، ولا أدري إن كانت تلك الرائحة التي انبعثت منه هي رائحته بالفعل أم هي



المجلة العربية للعلوم الإنسانية والاجتماعية
Arab Journal for Humanities and Social Sciences

ما تخيلته من شكله... عرفت فيما بعد أنه (أبو نزير) ... بعض الأسماء ترافقنا حتى تحلّ محلّ أسمائنا التي يحدث في بعض الغمرات أن ننساها، وننسى أنها تنتمي إلينا أو ننتمي إليها... (العنوم، 2015، صفحة 95).
وإذا ما غصنا بالتفاصيل ودققنا أكثر، يمكن لنا أن نصنّف، أو نخترل هذا "العدوّ" في عدّة صور،
نذكر منها:

الصورة الأولى: الجلّاد- المحقّق الذي يمثّل دور الأبّ الحنون، الذي يخاف على مصلحة السّجين. لذلك يجب أن يتعاون معه ويقدم له المعلومات التي يريدها المحقّق. ويطيعه ليقدم له الأمان وليتمكّن من حمايته وانقاذه من الموت المحتمّ وخطر العمل السياسيّ الذي سيقوده نحو الهلاك.

وهذه الصورة قد برزت في رواية "العين ذات الجفن المعدنيّ" حيث يدور الحوار الآتي بين السّجين والمحقّق:

- ماذا تريد منّي؟

- أريد أن تكون عاقلاً (وكلمة عاقلاً تعني بأن يعترف ويقرّ بجرمه وما نسب إليه)، أمامك طريقان، إمّا البقاء هنا للأبد وإمّا الخروج للحياة، فأيهما تختار؟" (حتاتة، 1980، صفحة 31).

يمثّل دور الرحيم على السّجين، "ليخلق نوع من الاطمئنان لدى المعتقل ويحاول أن ينتزع منه الاعتراف استدراباً.. وتترابط الرحمة مع العنف في شخصيّة المحقّق، ليتمكّن من سحق السّجين فيتخلّص من بعض رموز النخبة المتنفّذة التي لا تسبب للسلطة السياسيّة غير القلق والخوف والحذر المستمر". (النايسي، 1992،

صفحة 168)



المجلة العربية للعلوم الإنسانية والاجتماعية
Arab Journal for Humanities and Social Sciences

وهذه الصورة هي صورة خادعة خبيثة إذ أنه لا توجد علاقة حوار بين الجلاد والسجين وإنما يسيطر العنف والتهديد والوعيد والقتل بدل الحوار للوصول إلى بعض الحقائق التي يريدها، ليخدم السلطة التي يتجزأ منها وتجعله مقرباً منها بشكل أعمق. وعندما يقع السجين في فخ الاعتراف لا يقف المحقق بل يتعدى ذلك، إذ يحاول أن يجعله خائناً متعاوناً مع السلطة للإيقاع بأصدقائه.

الصورة الثانية: يظهر فيها المحقق الجلاد رجلاً قوياً وحشياً متسلطاً، يثور ويغضب كقائد يستعرض غنائه، وهي الصورة الحقيقية للسلطة العربية، ويساعده في ذلك الجلادين الأقل منه رتبة وخبرة في عمليات التنكيل والتقتيل والوحشية. فيتحوّل اللقاء في غرفة التحقيق إلى معركة أو حفلة تعذيب، فيغضب ويثور كثير هائج لا يمكن كبحه، يستعرض كلّ التنكيلات والتعذيبات والإعدامات التي قام بها سابقاً بهدف دبّ الرعب والخوف في قلب السجين. فهو يرى في كلّ مثقف، خائن للسلطة القائمة، يجب عليه استئصاله وتطهير الوطن منه. وذلك بهدف خلاص الوطن من كلّ الأفكار المغاير التي تهدف إلى أخذ البلاد نحو الخراب. يعمل المحقق على تلقين السجين الخارج عن طاعته درساً ويعمل على تحويله إلى حشرة يدوسها ب "رنجره" العسكري كي لا ينتقل سمها إلى المجتمع.

يشبه الدكتور شاكر النابلسي في روايته العين ذات الجفن المعدنيّ الجلادين بالحيوانات والقرود أو أسماك القرش، ومع غرق الدماء ومع تلاشي الخصم أو تراجعهم، يزدادون شراسةً وعنفاً ويدخلون في حالة من العنف أعلى من التي سبقتها. (النابسي، 1992، صفحة 42)



المجلة العربية للعلوم الإنسانية والاجتماعية
Arab Journal for Humanities and Social Sciences

وقد تزداد قسوة هذا الجلاد لأسباب خارجيّة. وهذا ما حدث في رواية "الشرنقة" للكاتبة حسيبة عبد الرحمن، إذ تسرد حكاية شاب عشق فتاة جميلة، ولكن أهلها رفضوه لأنه ليس من الطبقة الاجتماعية التي تناسبهم، وتمرّ الأيام ليصبح الشاب ضابطاً في الجيش... ويحدث أن تعتقل الفتاة عيناها... وها هي تقف أمامه الآن! لم يعد شعرها مرفوعاً... وجسدها بات بشعاً جزأ الكدمات الزرقاء... يصفع الضابط محبوبته السابقة التي تقع على الأرض، فيحاول أن يعرض عليها حبّه، ولكنّها تبصق في وجهه، وهنا ينفجر بركان الحقد، فيضربها ويضربها حتى يغمى عليها، ليوقلها بعد ذلك بالصعقات الكهربائيّة الأكثر إيلاً من لسعات الحيّة". (شاكرا، 2020)

وفي رواية "القوقعة" نجد أيضاً أنّ سبباً خارجياً قد أثر على الجلاد داخل السّجن. فيقول مصطفى خليفة: "دخل رئيس السّجن إلى المهجع وهو يصرخ ويهدّد السّجّاء، وخرج بعد أن قتل أربعة عشر شخصاً... بعد ثلاث سنوات ترد إلى أسماع السّجّاء أقوال مفادها أنّ ما فعله رئيس السّجن كان نتيجة تعرّضه للتهديد من قبل تنظيم الأخوان المسلمين". (خليفة، 2016)

وهذا ما تؤكده محاضرة لينغ بعنوان "الواضح" وهي منشورة في كتاب "ديالكتيك التحرّر" بالانكليزيّة، وهو يشرح التجربة التي قام بها الدكتور ستانلي ملغرام في جامعة بيل الأمريكيّة. إذ تجري التجربة على البشر بهدف الوصول إلى جواب عن السؤال التالي: إلى أيّ مدى يمكن أن يصل الإنسان في إيقاعه الأذى بإنسان آخر، أو تسبب الألم له، وهو الذي لا تربطه به أيّ رابطة سلبية أو إيجابية وحتى معرفة مسبقة أو حبّ أو حقد أو مصلحة.



المجلة العربية للعلوم الإنسانية والاجتماعية
Arab Journal for Humanities and Social Sciences

"وقد بلغ المقدار عند الدكتور ملغرام أنّ 26 من أصل 40 أي بمقدار 65% ويسوّغ أحد النماذج ممّن أجريت عليهم الاختبارات، عند سؤال ما إذا كان يحقّ له أن يوقع ذلك الأذى بالطرف الآخر بقوله: "مسألة يجوز أو لا يجوز، هذه متعلّقة بالهيئة التي أصدرت الأمر. إنّ الطيّار الذي يتلقّى أمرًا بقصف قرية لا يسأل عمّا إذا كان عمله هذا جيّدًا أم سيئًا. هذا ليس من شأنه، عليه، فقط، أن ينفذ الأوامر". (عدوان، 2016، صفحة 20).

وعند السؤال عن كيفة حدوث هذه الأمور، كان الردّ أنّه بسبب توزيع المسؤوليات، والذي من خلاله يخفّ نصيب كلّ شخص أو طرف من العبء الناجم عن المسؤولية، فيرى نفسه بريئًا أمام ما اقترفه الآخرون. وهذا ما قال عنه الدكتور ممدوح عدوان في كتابه حيونة الإنسان: "النتيجة التي يصل إليها الدكتور ملغرام في دراسته لاستعدادات الانسان "لإيقاع الأذى بأخيه الإنسان" هي أنّه يعتمد على تجبير المسؤولية نحو "السلطة التي تعطي الأوامر". ولكن تحديد هذه المسألة بمجرد "إطاعة الأوامر لأنّها صادرة عن سلطة مرهوبة أو محترمة"، لا يكفي لتغطية مسوّغات الأفعال التي حدثت". (عدوان، 2016، صفحة 25).

الصورة الثالثة: الصورة الأخيرة للسجان، وهي الأكثر ندرة في أدبيات السجون، تأتي بصورة الجلاد الإنساني؛ ذلك الذي تتسلل إنسانيته عبر القسوة المفروضة عليه من النظام، ليظهر بقايا نور داخلي لم تنطفئ جذوته تمامًا. سجانٌ يشعر بمعاناة السجين ويعيش عجزه بصمت، فتبدو بعض كلماته العابرة وكأنّها يد تمتدّ لتمسح على آلام السجين، تحاول أن تزيح ولو جزءًا يسيرًا من ثقل مصيره.

هذه الصورة تتجسد في إحدى الروايات، حيث يتكرر مشهد الحارس الذي يُغلق أبواب الزنازين خلف السجناء، لكنه لا ينسى أن يهمس لهم بصوت خافت، قائلاً: "بيفرجها الله يا شباب." ورغم بساطة هذه العبارة،



المجلة العربية للعلوم الإنسانية والاجتماعية
Arab Journal for Humanities and Social Sciences

فقد كانت تحمل في طياتها دعم نفسيّ وكوّة من الإنسانيّة في جدران القهر. لكنّ هذا الهمس ذاته كان ثمنه باهظاً، إذ اختفى الحارس في وقت لاحق بلا أثر، وكأنّ السجن قد ابتلعه عقاباً على جرأته في إظهار التعاطف.

تتكرر هذه الصورة مجدداً في إحدى الروايات، عندما يكشف سجين لحارسه عن أمنيته الأخيرة قبل الموت، قائلاً: "أخخ على كاسة شاي وسيجارة." لم يتردد الحارس، في لحظة مصيريّة، استجابت فيها فطرته للإنسانية، في تحقيق هذه الأمنية البسيطة. لكنه بذلك دفع الثمن الأكبر؛ إذ علمت السلطات بالأمر ولم تتسامح مع هذا الانتهاك لدور السجن المرسوم. كان الجزاء إصدار حكم الإعدام عليه بتهمة "خيانة الدولة".

بهذا الشكل، يظهر أدب السجن أن الجلاد نفسه قد يكون ضحية أخرى. عندما يحاول أن ينصت لما تبقى من إنسانيته ويخرج للحظة واحدة عن الدور القاسي المرسوم له، يُعاقب كما لو كان سجيناً آخر يتحدى النظام. إنها لحظة رحمة قد تكلفه حياته مثلما تكلف السجن حريته.

هذا ما يحيلنا إلى دراسة علاقة الجلاد بالسلطة وتقديم الطاعة المطلقة لها.

خامساً: السلطة والطاعة: تحليل اجتماعي-نفسى:

1- السجن بين السلطة والبنية النفسية الاجتماعية:

نجد تعريفاً للسلطة في أحد كتب المصطلحات، "السلطة هي القدرة القانونية على ممارسة نفوذ على فرد أو جماعة... ومن وسائلها إصدار الأوامر والنواهي ممن يملكها إلى الخاضعين لها. ومراجعة أعمالهم وإثابتهم وعقابهم". (عطوان، 1997، صفحة 131).



المجلة العربية للعلوم الإنسانية والاجتماعية
Arab Journal for Humanities and Social Sciences

وتستغلّ السّلطة تعذيب الذات بشتّى الوسائل الماديّة والنّفسيّة، "لتغرس هذه الصور فيها غرسًا، وقد يصل الأمر حدّ التدمير المنظمّ لذات السّجين لحشره في طريق مسدود لا خروج منه إلاّ بالرضوخ". (حجازي، 2005، صفحة 128). فالسّجين يعيش حالة عجز بإزاء قوّة السّلطة بمختلف أشكالها، إنّها حالة تهديد دائم لذاته قبالة عجزه عن مجابهة خطر الآخر -السّلطة- فهناك، باستمرار، غياب التكافؤ بين قوّته وقوّة السّلطة، ومن ثمّ سرعان ما يتخلّى عن المحاربة منسحبًا أو مستسلمًا، إمّا طلبًا للسلامة وخوفًا من سوء العاقبة، أو يأسًا من إمكانيّة المواجهة والتّصديّ". (حجازي، 2005، صفحة 45).

وإذا ما التفتنا إلى السّجان، يمكن لنا وصفه بأنّه يد السّلطة لبيسط أوامرها وتنفيذ العقوبات بحقّ المساجين. فالسّجان، " ممثّل السّلطة في السّجن، وعلاقته مباشرة بالسّجين، ويبدو أنّه كان له هيمنة مرعبة على المحبوس". (الصمد، 1995، صفحة 212). وعلى هذا الأساس فليس من شكّ في أنّ العلاقة بين السّجين والسّجان لم تكن علاقة حميمة، بل أساسها العدا والكيد والبغض والخوف. "ولا عجب في ذلك فالسّجان يمارس ضروبًا من العنف وضراوة الاضطهاد على السّجين بحيث يملأ قلبه حقْدًا". (البزرة، 2011، صفحة 514). والخوف والهلع اللذين ينتابان نفسيّة السّجين من سلطة السّجان، أكثر بكثير وأعمق ممّا ينتابه من السّلطة التشريعيّة، ذلك أنّ السّجان مصدر الألم الجسدي والنّفسيّ للسّجين، وهو الموت المتلبّس بزّيّ إنسان.

في السياقات السّلطويّة، لا ينظر إلى السّجان بوصفه فردًا مستقلّ الإرادة أو صاحب خيارات شخصيّة. بل يشكّل امتدادًا وظيفيًا للمنظومة السياسيّة-الأمنيّة، وأداة تضمن استمرار قمع السّلطة وتجسيدها بشكل مباشر. دوره يتجاوز الحراسة إلى تمثيل السّلطة، إذ يكون المنفّذ لقراراتها، المراقب لسلوكيات السّجين، والظلّ الذي



المجلة العربية للعلوم الإنسانية والاجتماعية
Arab Journal for Humanities and Social Sciences

يلاحقه حتى في أبسط لحظات وجوده النفسي الداخلي. من هذا المنطلق، أي محاولة لفهم شخصية السجان تستدعي إدراك أنه نتاج مباشر للمنظومة؛ ليس مجرد أداة عابرة بل جزء من هيكل سلطوي أوسع.

ننطلق هنا من تجربة، فيليب زيمباردو وفريقه في عام 1971 الشهيرة في جامعة ستانفورد لاستكشاف تأثير الأدوار الاجتماعية، مثل السجن والسجان، على السلوك البشري. اختير 24 طالباً ممن يتمتعون بصحة جسدية ونفسية جيدة، وتم توزيعهم عشوائياً بين أدوار السجناء والحراس داخل سجن تم إنشاؤه بشكل وهمي. رُسمت الخطة لتستمر التجربة لمدة 14 يوماً، لكنها توقفت بعد 6 أيام فقط بسبب ظهور سلوك عدواني شديد لدى الحراس، مقابل خنوع واكتئاب عميق لدى السجناء. تفاقم الوضع النفسي للسجناء، حيث ظهرت عليهم علامات مثل القلق والبكاء والانهايار. هذا دفع كريستينا ماسلاتش إلى التدخل بقوة، مستنكرة الجوانب الأخلاقية للتجربة، مما أدى إلى إنهائها المبكر.

أظهرت التجربة أن السلطة والسياقات الظرفية يمكن أن تؤدي إلى تغييرات جذرية في السلوك؛ حيث أصبح الحراس أكثر قسوة بشكل ملحوظ، بينما استسلم السجناء بشكل أكبر. باتت التجربة لاحقاً مرجعاً في مجال علم النفس، وتم تناولها في العديد من الكتب والأعمال الفنية، إلا أنها واجهت انتقادات واسعة: من الناحية الأخلاقية: بسبب عدم الالتزام بمعايير حماية المشاركين.

من الناحية المنهجية: إذ يصعب تعميم النتائج نظراً لصغر حجم العينة وتشابهها الاجتماعي.

من الناحية الواقعية: لأن الظروف المصطنعة للسجن لم تعكس بدقة بيئة السجن الحقيقية.



المجلة العربية للعلوم الإنسانية والاجتماعية
Arab Journal for Humanities and Social Sciences

من الناحية العلميّة: حيث أشارت مراجعات لاحقة إلى أنّ بعض المشاركين تصرفوا بطريقة مفتعلة أو تلقوا تشجيعًا على تبني تصرفات عنيفة.

على الرغم من الانتقادات، يظلّ زيمباردو مدافعًا عن الفكرة الأساسيّة للتّجربة، التي تشير إلى أنّ الظروف الاجتماعيّة والبيئة المحيطة يمكن أن تُحدث تغيّرات عميقة في سلوك الإنسان. (مسعود، 2022)

وننقل أيضًا إلى تجربة تلميذه ستانلي ميلغرام التي أجراها 40 رجلًا طوّعوا باستخدام إعلانات. طوّر ميلغرام مولد صدمات هائل مع مستويات صدمة بدءًا من 30 فولت وحتى 450 فولت. وصنّفت القواطع بمصطلحات تضمنت: صدمة خفيفة ومتوسطة وخطيرة أو شديدة، وسمي القاطعان الأخيران. (XXX)

أخذ كل مشارك دور الأستاذ الذي سيعطي تلميذه صدمة عند كل إجابة خاطئة. في حين كان التلميذ شريكًا ممثلًا في التجربة وتظاهر بالتألم وتلقي الصدمة. ومع تقدّم التجربة سيسمع المشارك الطالب يترجى الانعتاق أو يشتكي آفة قلبية. وعندما يصل الأمر إلى 300 فولت سيطرق التلميذ على الحائط ويطلب الإعفاء، وبعد هذه النقطة سيصمت التلميذ ويرفض الإجابة عن أي أسئلة أخرى. سيشير مدير التجربة إلى المشارك بالاستمرار.

عندما طرح ميلغرام السؤال على مجموعة من طلاب جامعة ييل، توقعوا أن ما لا يزيد عن 3% سيوافقون على إعطاء الصدمة القصوى. لكن في الواقع فإن 65% من المشاركين أعطوا الصدمة القصوى.



المجلة العربية للعلوم الإنسانية والاجتماعية
Arab Journal for Humanities and Social Sciences

ومن المهم الانتباه إلى أن الكثير من المشاركين أصبحوا مشوشين ومذهولين وغاضبين من مدير التجربة ومع

ذلك استمروا في اتباع الأوامر حتى النهاية. (قوجة، 2021)

أظهرت تجارب ستانلي ميلغرام حول مفهوم الطاعة أنّ الإنسان يمكن أن يُظهر سلوكيات قاسية وغير مألوفة عندما يخضع لسلطة أعلى تفرض عليه مسؤولية التنفيذ. هذا النموذج يتضح بجلاء في شخصية السجان ضمن الأنظمة الشمولية. فهو مُلزم بالطاعة خشيةً من العقاب أو احتمالية أن يتحوّل إلى سجين ذاته، كما أن النظام يوفر له غطاءً شرعياً يعفيه من الشعور بالذنب، حيث تُفرغ المسؤولية الأخلاقية لصالح تنفيذ الأوامر دون تحدّ. هذا الشعور يخلق لديه دافعاً لا ينحصر في تطبيق التعليمات فقط، بل يصل في بعض الأحيان إلى تجاوزها لإثبات الولاء للسلطة.

ما سمّاه ميلغرام بـ"إلغاء الذات الأخلاقية" يظهر هنا جلياً، حيث يضحي السجان مجرد منفذ طيع يتعامل مع المهمة الموكلة إليه كواجب مقدّس بدلاً من كونها فعلاً يحمل آثاراً إنسانية.

2- النزعة الإنسانية: آلية الدعم النفس-اجتماعي للسجان

للتخفيف من الأعباء التي قد تواجه السجان نتيجة ممارساته تجاه السجين، تعمل السلطة على صياغة خطاب يؤدي إلى نزع الإنسانية عن الضحية. يصوّر السجين كـ"عدو وخطر على المجتمع"، أو كـ"عنصر مهدّد" للكيان الوطني، فتتحوّل عملية الإذلال والتعذيب إلى فعل شرعي يرتبط بالصالح العام أو الواجب الوطني. هذه الآلية تجعل السجان لا يشعر بالذنب إطلاقاً؛ بل يمارس العنف وهو مقتنع بأنّه يؤدي خدمة عليا تستند إلى قواعد أخلاقية مؤسسية.



المجلة العربية للعلوم الإنسانية والاجتماعية
Arab Journal for Humanities and Social Sciences

هذا المبدأ من منظور علم النفس الاجتماعي يعزّز شرعية سلوكيات العنف داخل عقل الفرد بذريعة واجب التضحية بالأخلاق لصالح المفهوم الجماعي للمصلحة العليا. من خلال هذه الاستراتيجية، يصبح السجن فضاءً لتدمير إنسانية الضحية وإعادة تشكيل هويتها عبر أدوات تجعلها أقل من "إنسان".

3- التنشئة الاجتماعية والاستبداد:

في المجتمعات السلطوية التي كرّست ثقافة الولاء المطلق من خلال التعليم والإعلام والشعارات القومية، يُعاد تكوين وعي الأفراد منذ مراحل مبكرة من حياتهم. هذه التنشئة الاجتماعية تجعل الطاعة ليست مجرد فعل مطلوب ضمن ظروف العمل بل جزءاً متصلاً في الهوية الفردية والجمعية. في حالة السجن، التلقين المستمر عبر المناهج الدراسية والإعلام الرسمي يقدم صورة عن السلطة ككيان مطلق لا يمكن عصيانه، وعن المعارض كعدو يجب محاربته. تأخذ هذه العملية سنوات طويلة، تنتج في النهاية فرداً لا ينظر إلى نفسه باعتباره حرّ الإرادة، بل كجزء وظيفي ضمن منظومة أكبر.

البيئة المغلقة التي تربى فيها السجن تغذي لديه ثقافة الخوف، حيث يتعلم أنّ ممارسة القهر على الآخرين هي الوسيلة الوحيدة للمحافظة على مكانته داخل النظام. نفسياً، يصبح دوره مرتبطاً بتماهٍ كامل مع السلطة التي ترافقه في كلّ خطواته، بحيث يرى التمرد على تعليماتها كتمرد على ذاته وعلى وجوده.

4- معضلة السجن: بين القمع والاعتراب



المجلة العربية للعلوم الإنسانية والاجتماعية
Arab Journal for Humanities and Social Sciences

رغم كل ما سبق، يعاني السجان شكلاً مميزاً من الاغتراب. هذا الاغتراب له جانب نفسي وآخر اجتماعي. نفسياً، هو يعيش تضارباً داخلياً بين أدواره الوظيفية وبين إنسانيته التي تُقَمع بشكل يومي، مما يؤدي إلى مشاعر مستمرة من الصراع الذاتي. أما اجتماعياً، فهو يرى في المجتمع إما حليفاً للسلطة أو معارضاً لها يجب التخلص منه.

إن العوامل النفسية التي تؤثر على السجان تحمل انعكاسات ضخمة على شخصيته وسلوكه، مما يبرز تعقيد الدور الذي يؤديه في بيئة مليئة بالمواجهات العنيفة.

أحد أبرز هذه العوامل هو التكيف مع العنف. فالتعرض المستمر لمشاهد تتسم بالعنف والتعذيب يجعل السجان عرضة لما يمكن وصفه بالتبدل العاطفي، حيث يفقد التواصل الطبيعي مع مشاعر التعاطف تجاه الضحايا.

وفي بعض الحالات، يتحول هذا التفاعل إلى تجربة لها طابع إدماني، إذ يشعر السجان بنشوة مستمدة من الإحساس القوي بالسيطرة المطلقة على من يمارس ضدهم العنف.

أما بالنسبة لآليات الدفاع النفسي، فالسجان غالباً ما يلجأ إلى تبرير أفعاله بطرق نفسية متعددة، من بينها الإنكار للتخلص من فكرة أنه مسؤول عن إيذاء الآخرين. إضافة إلى ذلك، يُظهر ميلاً للإسقاط عبر تحميل الضحية مسؤولية ما تتعرض له من تعذيب، أو قد يعتمد إلى التبرير من خلال رؤية أعماله باعتبارها واجباً وطنياً أو جزءاً أساسياً من الحفاظ على النظام العام.



المجلة العربية للعلوم الإنسانية والاجتماعية
Arab Journal for Humanities and Social Sciences

مع ذلك، يظل الانقسام الداخليّ تطوراً نفسياً شائعاً بين السجّانين. هذا النوع من الصّراع بين دورهم التنفيذيّ وأبعادهم الإنسانيّة يخلق حالة من التّوتر النّفسيّ، وهو أمر قد يؤدّي بهم إلى الإصابة باضطرابات طويلة الأمد مثل القلق، الاكتئاب، وأحياناً اضطراب ما بعد الصدمة.

أمّا فيما يتعلّق بالنموذج العمليّ لهذه السلوكيات، فإنّ سجون الأسد تمثّل مثلاً واضحاً على القمع المؤسّساتيّ. فالتعذيب في هذه المراكز تجاوز كونه مجرد وسيلة استخباراتيّة لجمع المعلومات، ليصبح أداة لترهيب المعتقلين وكسر إرادتهم. وقد كشفت شهادات وتقارير المعتقلين السابقين عن الممارسات المروعة التي تضمّنّت التعذيب الوحشيّ الجسديّ، والإذلال النّفسيّ الذي قد يصل إلى تهديد عائلات المعتقلين أو الإساءة الدينية والعرقية، بالإضافة إلى الحرمان من أساسيات الحياة مثل النّوم والطعام والرعاية الصحيّة.

5- المراحل التي يمرّ فيها السجّان:

- 1- ترويض الإنسان شكل روتينيّ ليؤمن بأبوية السّلطة ومشروعيتها.
 - 2- وجود الرقيب وزرع هاجس الخوف وجعل المباحثيّة سمة الحياة الاجتماعيّة.
 - 3- التربيّة على العنف الموجّه ضدّ العدو.
 - 4- الربط بالقضية بإسباغ المشروعيّة. وتحاشي تأنيب الضمير والشعور بالذنب.
 - 5- تماهي السّلطة مع القضية وربطها مع الدين في الكثير من الإحداثيات.
- اكتساب امتيازات واتساع صلاحيات وتجنّب مصير كارثيّ.



الخاتمة:

إنّ تحليل شخصيّة السجّان يفتح نافذة لفهم البنية القمعيّة التي تتجاوز دوره التقليديّ كطرف ثانٍ في معادلة السجّن. فوجوده لا يقتصر على كونه "الأخر"، بل يتحوّل إلى تمثيل حيّ للنظام القمعيّ الذي صاغ شخصيّته وحدّد أفعاله. هو ذاته يعيش ضمن إطار سجن مختلف، مقيد بقيود الطاعة المطلقة ومتشكّل عبر تنشئة سلطويّة تجعل من التسلّط والخضوع خصائصه وسماته الرئيسيّة. يترافق ذلك مع خوف دائم من فقدان الامتيازات أو مواجهة تبعات الاختلاف والتمرد. في هذا السياق، يصبح السجّن مساحة تكشف تناقضات القوّة والهشاشة بوضوح، حيث تسلّط الضوؤ على ضعف السجّان حين يقف أمام ضحيّة تبدو أكثر صلابة رغم قسوة الألم. من خلال استكشاف شخصيّة السجّان، تظهر ديناميكيات الاستبداد بشكل جليّ، فأثاره لا تقتصر على الضحايا فقط، بل تمتد إلى تشكيل حياة ومواقف منفذيّ القمع. هذا التحليل يفسح المجال لفهم بنية الاستبداد وانعكاساتها على الأفراد والمجتمع بشكل أكثر عمقاً.

ومن خلال هذه الدراسة، وبعد أن ألقينا الضوؤ على السجّان في الرّوايات السجنيّة نصل إلى العديد من

النتائج والتوصيات، نذكر من:

النتائج:

- السجّان أيضاً شخصيّة محوريّة وبنويّة رئيسيّة، تساعد السجّين في سير الأحداث في الرّوايات السجنيّة.
- السجّان ضحية أخرى عند السلطة، مثله كمثل السجّين.



المجلة العربية للعلوم الإنسانية والاجتماعية
Arab Journal for Humanities and Social Sciences

- السجان، يد السلطة التي تبطش فيها، وظلها الذي يمارس التقتيل والتتكيل والتعذيب وتصبه على ذات السجين وجسده.

- دور السجان يتمثل في تحقير السجين وطمس انسانيته بمختلف الطرق والممارسات الوحشية.

- السجان هو وعاء للحقد والأمراض النفسية نتيجة رواسب ماضية، وأسباب اجتماعية مختلفة، تنتمي نتيجة وجوده في بيئة موبوءة، يفرغ كل ما فيه من مكونات على ذات السجين.

- تتجلى صور السجان في الروايات السجنية متمثلة في عدة صور:

* الجلال يرى في ممارسة التعذيب جزءاً من مسؤوليته الوظيفية وواجباً وطنياً.

* السجان البيروقراطي، ينفذ الأوامر السلطوية دون أي وعي أو إدراك أخلاقي.

* شخصية السجان الإنساني، شخصية نادرة في الروايات السجنية، يقاوم ويحاول التمرد على طبيعته الوظيفية المجردة من الانسانية. لكن غالباً ما تكون نهايته وخيمة.

- العلاقة بين السجين والسجان، علاقة قائمة على العنف والبطش والقوة لا على التواصل.

ومن التوصيات نذكر:

- ضرورة الاهتمام بشخصية السجان من حيث الدرس والتحليل والتقيب، واعتباره عنصر مهم من عناصر الرواية السجنية.

- أن يعنى السجان بدراسات نفسية واجتماعية، وإخضاعه إلى تدريب نفسي أخلاقي قبل انضمامه إلى المنظومة السجنية.

- إدراج قانون "حقوق الإنسان" كمادة أساسية، ومرجع مهم في تدريب السجانين والحراس، والمراقبة المشددة من قبل المنظومات الإنسانية بعد تسلّمهم مهامهم الوظيفية.



المجلة العربية للعلوم الإنسانية والاجتماعية
Arab Journal for Humanities and Social Sciences

قائمة المصادر والمراجع

1. أحمد مختار البزرة. (2011). الأسر والسجن في شعر العرب. دمشق: مؤسسة علوم القرآن للطبع والنشر.
2. أيمن العتوم. (2015). يسمعون حسيبها. القاهرة: دار المعرفة للنشر والتوزيع.
3. براءة باطوس، و عبدالكريم ضاهر. (2012). شخصيّة السجّان في الرواية التدمريّة. مجلة بحوث جامعة ادلب، 4.
4. حسين عطوان. (1997). الشعراء الصعاليك في صدر الاسلام والعصر الأموي. بيروت: دار الجيل لبنان.
5. رحاب شاكر. (2020). السجان في أدب السجون. الجمهورية .
6. زيجمونت باومان. (2014). الحداثة والهولوكوست. (حجاج أبو جبر، و دينا رمضان، المترجمون) القاهرة: مدارات للنشر والأبحاث.
7. سوار قوجة. (2021). تجارب ستانلي ميلغرام ومخاطر الطاعة والعبودية. تم الاسترداد من أنا صدق العلم.
8. شاكر النابسي. (1992). مباحج الحرية في الرواية العربية. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
9. شريف حتاتة. (1980). العين ذات الجفن المعدني. القاهرة: دار الثقافة الجديدة.
10. غانم جواد رضا. (بلا تاريخ). شعر السجون في القرن الأول الهجري.
11. محمد عادل فارس. (2007). لأنهم قالوا لا، ناشرون بلا حدود. مؤمنون بلا حدود.
12. مصطفى حجازي. (2005). التخلّف الاجتماعي. الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي.
13. مصطفى حجازي. (2005). التخلّف الاجتماعي (مدخل إلى سيكولوجية الإنسان المقهور). بيروت: المركز الثقافي العربي.
14. مصطفى خليفة. (2008). التوقعة، يوميات متلصّص. بيروت: دار الآداب.



المجلة العربية للعلوم الإنسانية والاجتماعية
Arab Journal for Humanities and Social Sciences

15. مصطفى خليفة. (2016). القوقعة .

16. ممدوح عدوان. (2016). حيونة الإنسان. دمشق: دار ممدوح عدوان للنشر والتوزيع.

17. هبة مسعود. (2022). تجربة سجن ستانفورد، السجن والسجان. تم الاسترداد من Obstan.

18. واضح الصمد. (1995). السجن وأثرها في الآداب العربية. دمشق: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.

